الباب الأول : مقدمات في المتشابه

الفصل الأول

تعريف المتشابه اللفظي

المتشابه نوعان : **متشابه لفظي** : وهو الذي نحن بصدده ، **والمتشابه ضد المحكم** وهو مبحث آخر ليس هذا محله .

ومادة (شبه) لها في اللغة معنيان : الأول : التماثل ، والثاني : الالتباس .

فمن الأول قوله تعالى : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ البقرة:٢٥ .

ومن الثاني قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾ البقرة:٧٠ .

وأكثر ما يستعمل في التماثل صيغة (تشابه) ، وفي الالتباس صيغة : (اشتبه) .

واصطلاحًا عرّفه الزركشي بقوله : « إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة » [١] ، وعرَّف الشيخ محمد طلحة بلال منيار الآيات المتشابهة بأنها : « الآيات المكرّرات في اللفظ بسياقها أو مع إبدال .

فـ (الآيات) : قيدٌ خرج به ما تكرّر في غير القرآن .

و(المكرّرات) : أي : لها نظائر ، وهذا قيدٌ أغلبي فربما يقع التشابه مع عدم وجود نظير وغالباً ما يكون هذا في حركات الكلمات .

(في اللفظ) : قيدٌ خرج به ما تشابه في المعنى فليس موضوعنا .

(بسياقها) : أي : المكررات بترتيب حروفها وألفاظها نفسه .

---

(١) البرهان للزركشي : ١/ ١١٢.

(أو مع إبدال) : أي : بتغير اللفظ أو السياق »[١] .

وقد ذكر بعض أهل العلم أنَّ عدد المواضع المتشابهة يصل إلى ألفي آية. وقال آخرون : ستة آلاف ونيف . وذكر بعضهم أنها تصل إلى سبعة آلاف وخمسمائة، وهذا ممكن إذ إنه في بعض الآيات قد يكون التشابه في أكثر من موضع في الآية الواحدة .

(١) إعانة الحفاظ للآيات المتشابهة الألفاظ : ٩١ – ٩٤.

المبحث الثاني

نشأة علم المتشابه . وأبرز من كتب فيه

أول من صنّف في هذا الفن هـو الإمام أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ) ، أحد القراء السبعة والإمام المعروف في اللغة . وقيل : موسى الفراء ، قاله ابن المنادي . وقيل : مقاتل بن سليمان . والأكثرون على أنه الكسائي ، فقد ألف كتابه الشهير (متشابه القرآن) [١] ، ثم تتابعت الكتب نظماً ونثراً في المتشابه .

وممن كتب فيه ابن المنادي باسم (متشابه القرآن) ، والخطيب الإسكافي في كتابه (درة التـنـزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز) ، وكذا ابن الزبير الغرناطي والذي استفاد الكثير من كتاب الإسكافي وزاد عليه وقد عَنْون لكتابه بـ (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنـزيل) . ولا يغيب عن أذهاننا كتاب (البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) [٢] لمحمود الكرماني وهو غير شارح الصحيح ، وكذلك (كشف المعاني في المتشابه المثاني) لابن جماعة الكناني وغيرهم من المتقدمين الذين أسهموا بشكل جلي في هذا العلم المبارك جمعاً وتوضيحاً ، حتى جاء من بعدهم وجعلوا هذا الفن ضمن علوم القرآن بعد أن كان مفرَداً كما هو صنيع الزركشي والسيوطي .

---

(١) أثبت محقق كتاب (متشابه القرآن) الشيخ مناع بن محمد القرني ذلك ، وعدّه من مزايا الكتاب ، وهو كذلك بلا شك.

(٢) حقق الكتاب الشيخ الفاضل ناصر بن سليمان العمر في رسالة الماجستير ، عام ١٣٩٩هـ .

وقد أُلِّفت في العصر الحديث كتب كثيرة في المتشابه يغلب على الكثير منها التكرار وجمع الآيات بلا تقعيد ولا ضبط ، خلافاً لما كان عليه غالب العلماء السابقين من تبيين للمعنى الخفي والنكتة البلاغية في كثير من الآيات المتشابهة .

ومن أجود ما قرأت في المتشابه من ناحية تأصيلية تقعيدية ، كتاب الشيخ محمد طلحة بلال منيار الموسوم بـ (إعانة الحفاظ للآيات المتشابهات الألفاظ) وكتاب عبد الله بن عبد الحميد الوراقي المعنون بـ (إغاثة اللهفان في متشابهات القرآن) في طبعته الأولى ، وكتاب (الإيقاظ لتذكير الحفاظ بالآيات المتشابهة الألفاظ) للشيخ جمال عبد الرحمن إسماعيل ، وكتاب الشيخ المحدث عبد المحسن بن حمد العباد بعنوان (آيات متشابهات الألفاظ في القرآن الكريم وكيف التمييز بينها) [1]، إلى غير ذلك من الكتب النافعة لولا ما يوجد في بعضها من التكرار .

ومن المنظومات النافعة في هذا الباب منظومة علم الدين علي السخاوي (هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب) وهي أول منظومة في هذا الفن وعدد أبياتها ٤٤٧ بيتاً ، وقد عني بها تحقيقاً وشرحاً عدد من أهل العلم والفضل وهي جديرة بذلك ، وأجود طبعة لها حسب ما وقفت عليه ما صدر بعناية الشيخ عبد الله بن محمد بن سفيان الحكمي .

---

(١) كتاب الشيخ نافع ومفيد وقد ذكر خمسة أقسام للمتشابه وليته اقتصر على ثلاثة منها ليكون أدعى للضبط والحفظ ، فمثلاً : ذكر القاعدة الأولى : ما كان التشابه فيه بين كلمتين أو أكثر والموضع المتقدم في القرآن مبدوء بحرف متقدم من حروف الهجاء ، ثم ذكر القاعدة الثانية خلاف الأولى وهذا يصعب ضبطه وحفظه وكذا صنيعه في القاعدة الثالثة والرابعة حيث ذكر قاعدة الزيادة للموضع المتقدم ثم التي تليها الزيادة للموضع المتأخر .

وهناك منظومة سهلة يسيرة للطلاب المبتدئين يُنْصَح بها كثيراً للشيخ علي بن عمر بن أحمد الميهي (ت ١٢٠٤هـ) وهو شيخ الجمزوري بعنوان (هداية الصبيان لفهم مشكل القرآن) وهي أرجوزة نافعة مفيدة شرحت في رسالة صغيرة بعنوان (موارد الظمآن) وعدد أبياتها ١٤٢ بيتاً ، مرتبة على حسب السور .بالإضافة إلى العشرات من المنظومات في هذا الفنِّ لعلماء شنقيط وغيرهم [١] .

ولا يفوتنا التذكير بأن من التفاسير التي عنيت بالمتشابه اللفظي تفسير أبي السعود ، وتفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي ، والبحر المحيط لأبي حيَّان ، والكشَّاف للزمخشري .

(١) من أفضل من تكلم عن طرائق المؤلفين وأشبع الحديث بإسهاب حول المؤلفات في هذا الفن ، الشيخ المفضال محمد طلحة بلال منيار في كتابه (إعانة الحفاظ) وهو بحق فريد في بابه .

الفصل الثالث

من حكم الألفاظ المتشابهة في القرآن الكريم

ذكر أهل العلم حِكَمًا للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم ، فمن ذلك :

١ التفسير :

بأن تفسر آيةٌ آيةً أخرى تشبهها ، وهذه من أهم حكم المتشابه اللفظي .

٢ الترغيب والترهيب :

كما في التكرار في قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

٣ الإعجاز :

ومن أبرز صوره الإعجاز البلاغي ، ولقد نبه الكرماني إلى كثير من دلائل الإعجاز في الآيات المتشابهة ، بل إن كتابه يدور حول هذا الموضوع ، و اسم الكتاب يدل على ذلك .

٤ الدعوة إلى التفكر والتدبر .

٥ حسن الأدب :

كما في قوله تعالى : ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ وقال بعدها : ﴿ فَأَرَدْنَآ ﴾ والثالثة : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ ﴾ ، وهذا من باب حسن الأدب مع الله من الخضر إلى غير ذلك من الحِكَم .

❊ ❊ ❊

المبحث الرابع

تنبيهات حول الآيات المتشابهات

يحسن بنا ونحن ننهل من هذا المعين الصافي ، أن يذكر بعضنا بعضاً بتنبيهات يسيرة وأن نقف عندها قبل البدء بالحديث عن القواعد للمتشابه اللفظي ، فمن ذلك :

١ تعدد القاعدة :

فبعض الآيات قد يكون لها أكثر من قاعدة ، فالحافظ يختار أسهلها وما يناسبه منها ، ويقرّ في قلبه .

٢ التشابه والإشكال أمر نسبي :

فما كان متشابهًا عندك ليس شرطًا أن يكون متشابهًا عندي ، ومن ثمَّ لا غرابةَ مثلاً إذا رأيت من يستصعب سورة الأحزاب في بعض مواطنها مع أنَّ منْ أهل العلم السابقين كالكرماني وغيره يقول فيها : « **وليس في ذلك – أي : السورة – كثير تشابه ، بل قد يلتبس على الحافظ القليل البضاعة ، وعلى الصبي القليل التجارب، فأوردتُها إذ لم تخل من فائدة ..** »[(١)].

٣ دعوى التكلف من غير (المتخصص) :

وهذه ظاهرة سلبية وعادة مشينة لبّس فيها إبليس على بعضهم ، فظنَّ أنَّ هذا

---

(١) البرهان في توجيه متشابه القرآن ، ٢٠٦ .

العلم النافع والمبسوط منذ أكثر من ألف ومائتي سنة ، أنه علم متكلَّف ولا حاجة إليه ، وهذا إنما يصدر وللأسف كثيرًا من غير المتخصص .وهذا أيضاً ينسحب على كثير من العلوم النافعة إذا صعبت على الإنسان أو كان من غير أهلها رماها بالعلم المتكلَّف الذي لا حاجة إليه والله المستعان .

ولا يعني ذلك عدم وجود التكلّف عند البعض ، والتعقيد بدل التوضيح والتسهيل ، **وأضرب على ذلك مثالاً واحداً** :

ذكر بعض الفضلاء ضابطاً لمجموعةٍ من الآيات المتشابهة وأراد أن يأتي بجملة تجمع أسماء السور التي توجد فيها حتى يسهل حفظها وضبطها ومعرفة مواطنها ، وهذه من القواعد النافعة التي ذُكرت في ثنـايا الكتاب إلا أنه أتى بجملة تحتاج معها إلى ضابط ، يقول حفظه الله :« الرعد يسبـقه النـور حتى بلاد الروم وتعجبتْ مريم من النمل الذي يمشي على الأرض وسمع كلامه أحد الأنبياء » !! .

٤ العناية بالموضع المنفرد في الغالب :

ومع أن هذه من القواعد الذهبية التي ستأتينا ، إلا أنه ولمسيس الحاجة وعظيم الفائدة نذكرها هنا ونخصها بالتنبيه ، فمن الخطأ أخي الكريم أن ينصبَّ جهدُك دوماً على جميع الآيات المتشابهة ومحاولة ضبطها ، وإتقانها جملة ، والصواب أن تضبط الموضع المختلف والمنفرد عن غيره ، إذ إنه في كثير من الأحيان يكون الخلاف في موضع واحد لو أحسن الحافظ ضبطه لسلم من الخطأ فيما عداه .

٥ من أسباب الخطأ في المتشابه ضعف اللغة العربية :

فكثير ممن يخطئ يرجع ذلك في غالب الأمر إلى عدم إلمامه باللغة العربية ، ولا شك أن الزيادة في موضع دون آخر ، وإبدال الحروف بغيرها ، واستعمال لفظ بدلاً من الآخر ، كل ذلك له دلالاته اللغوية التي قد تخفى على الكثير .

٦ معرفة المواضع المتشابهة ضرورة :

لكي تستفيد من هذه القواعد ومن غيرها وحتى يكون عملك على الجادّة صواباً ، لابد من معرفة المواضع المتشابهة قدر المستطاع وتنزيل القاعدة عليها . ومتى خفيت عليك قلّت الفائدة ، بل ربما عدمت .

٧ القواعد هذه أغلبية لا كلية :

فهذه القواعد التي نذكرها إنما هي قواعد أغلبية لها مستثنياتها ، بل ربما كانت هذه المستثنيات كثيرة جدًا ، ولكن كون الحافظ يضبط الأغلب ويعتني به هذا مكسب بحد ذاته.

٨ القواعد مبنية على الرسم العثماني برواية حفص عن عاصم نسخة مجمع الملك فهد - رحمه الله - :

وهذا التنبيه تزداد أهميته في بعض القواعد ، حيث لا يصدُق على بعضها كونه ضابطاً للمتشابه على رواية غير حفص أو طبعة غير المجمع . وطبعة المجمع هي المعروفة بمصحف المدينة النبوية ، ويسمى مصحف الحفاظ حيث تبدأ فيه أول الصفحة بأول الآية وتختم الصفحة بآخر الآية ، وهو مقسم تقسيماً جيداً ، حيث إن القرآن ثلاثون جزءاً ، وكل جزء في عشرين صفحة ، والصفحة خمسة عشر سطراً ، والإشكال المتكرر عند الحفظة يكمن في الربط بين آخر الوجه مع أول الوجه الذي يليه ولذا ينبغي العناية بين الوجهين بالربط الجيد المتقن .

٩ ليس شرطا كثرة الأمثلة للقاعدة :

لأنّ المقصود من هذا الكتاب ومن الإكثار من هذه القواعد ، هو فتح الأفق وتوضيح الطريق أمام المراجع ، لينطلق ويستحضر ويُقَعِّد هو بنفسه .

١٠ المستهدف الأول من هذا الكتاب هو المعلم :

حقيقةً المستهدفون هم أهل القرآن بجميع شرائحهم ، المعلِّم والمتعلِّم ، المبتدئ والمتوسط والمقرئ ، إلا أنّ المعلم هو المستهدف الأول ؛ لأن هذه القواعد من العلم النافع الذي إذا جاء جملة ذهب جملة ، وإذا أتى شيئًا فشيئًا قرَّ ومكث ، ولذا احرص أخي المعلم على إفادة الطالب والدارس مرة بعد أخرى وتبيين المتشابه له على جرعات متباعدة ، فهو أجدر لثبات العلم وبقائه والإفادة منه طويلاً .

١١ طريقة التأليف (المعاصرة) في المتشابهات غالبا تكرار ممل :

أُلفـت كثير من الكتب في المتشابهات لكن يغلب على من يؤلف الاهتمام بجمع الآيات المتشابهة دون حرص على التقعيد والضبط لها وهو المغزى والمعنى الذي يبحث عنه الحافظ ، وهي الفائدة التي ينبغي العناية بها . ومن المؤسف حقاً والمحزن صدقاً أنْ تجد الكتب في المتشـابه تتابع وهي تكرار لما سبق ، ولاشك أنَّ في هذا تزهيداً للمحب لهذا العلم ، وصَرْفاً له عنه ، كما أنَّ التقدم الحاسوبي قد كفانا بعد الله عناءً كثيراً في جمع الآيات المتشابهة . فلا أدري لِـمَ الحرص على إخراج الكتب في المتشابه بهذه الطريقة التي لا جديد فيها ؟!

❊ ❊ ❊